رأي الأخفش في قولهم

« الرجلُ السَّوْء »

الأستاذ صبحي البصام

قال الخليل بن أحمد : « يُقال : رجلٌ سَوْءٍ ، وإذا عرّفتَ قلتَ : الرجلُ السَّوْءُ » (حماسة المرزوقي ٣ / ١١١٥ ، ت أمين وهارون[1]) . وقال الأخفش وكأنه يرد على الخليل قوله : « ولا يُقال الرجلُ السَّوْءُ ، ويُقال الحَقُّ اليقينُ ، وحقُّ اليقين جميعاً ، لأنّ السَّوْءَ ليس بالرجل ، واليقين هو الحق » (الحماسة ٣ / ١١١٥) . قلتُ « يدفع قول الأخفش » :

(١) قول عديّ بن زيد (شعراء النصرانية / ٤٦٧) :

اذا ماكرهتَ الخلّةَ السَّوْءَ لامرئ فلا تغشها وأخلد سواها بِمَخْلَدِ[2]

(٢) وقول عثمان بن أبي العاصي : « والناكحُ مغترس ، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه ، والعِرْقُ السَّوْءُ قلّما يُنجب ، ولو بعد حين » (البيان والتبيين / ت . هارون ٢ / ٦٧) . وسمع عبد الله بن عباس رضي الله عنه هذا القول من راويه ، فقال : ياغلام أكتبْ لنا هذا الحديث .

---

(١) نسب الأزهري هذا الرأي في تهذيب اللغة الى الليث . ونصه هكذا : « وتقول في النكرة : رجلُ سَوْءٍ ، وإذا عرّفت قلت : هذا الرجلُ السَّوْءُ . » (١٣ / ١٣٢ ، مادة سوء . ت . البردوني) .

(٢) روى مؤلف الكتاب السُّوء بضم السين ، والصواب الفتح ، وقد بسطت القول في الفرق بين السُّوء بالضم والسَّوْء بالفتح في مجلة المجمع العلمي العراقي (العدد ٣ / ١٩٨٠ / ص ٤٠٤) . وكان الدكتور شاكر الفحام ذكر الفرق قبلي باختصار في هذه المجلة (الجزء الثالث : ٥٩٩ المجلد ٥٣) . وللبيت رواية أخرى هي :

اذا مـــا تكرّهت الخليقـــــة لامرئ فـلا تخشهـا وأخلـد سـواهـا بِمَخْلَـد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٣) وقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ... ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى في الفلوات وشعف الجبال ، هذا والله الرأيُ السَّوْءُ » (الغارات . ت . المحدّث / ٦٢٧) .

(٤) وقول الحطيئة حين حضرته الوفاة : « ويلٌ للشعر من الرواة السَّوْء » (الشعر والشعراء ١ / ٣٢٨) . على أنّ قوله هذا روي في بعض الكتب المتأخرة على نحو آخر .

ومن الشواهد التي يُستأنس بها في ذلك قول عيسى بن موسى : « يابشر الى أين تنتقل ، الى تلك القرية السَّوْء ؟ » (بغداد مدينة السلام / ت . العلي / ١١١) . وقول ابن عبّاد : « المُجْلعبّ : المستعجل الماضي ، وهو أيضاً من نعت الرجل السَّوْء الشرّير ، (المحيط في اللغة . ت . آل ياسين ٢ / ٢٩٢) .

فقول الأخفش في « الرجلُ السَّوْءُ » غير صحيح ، واحتجاجه بأن اليقين هو الحقّ وأنّ السَّوْءَ ليس بالرجل ، إنما هو حجّة توجّهت عليه ، ألا ترى أنّ « السَّوءَ » ليس خلّةً ولا عِرْقاً ولا رأياً ولا رُواةً ولا قريةً ، ومع ذلك صار صفة لهذه الأسماء المعرّفة بالألف واللام في الشواهد التي ذكرتها ؟

ونقلُ « رجلٌ سَوْءٍ » وغيرها من الإضافة الى الوصف يقابله نقل عبارات من الوصف الى الإضافة :

كقولهم « شهر ربيعٍ الأول » و « شهر ربيعٍ الآخر[٣] » والأصل فيهما شهر الربيع الاول وشهر الربيع الآخر ، وكقولهم « مسجدُ الجامعِ » أي المسجدُ الجامعُ . ومنه قول ابن دُريد في بعضهم : « كان مؤذّنَ عبيد الله بن زياد بمسجد الجامع بالبصرة » (الاشتقاق ٢ / ٣٣١ ت . هارون) . وكقولهم «حبة الخضراء » أي الحبة الخضراء ،

---

(٣) على أن العرب انقطعت عن الرجوع الى أصلها ، لأنهم إنما أضافوا الموصوف الى الصفة فيهما لتحاشي اللبس بفصلي الربيع اللذين يعقب أحدهما الشتاءَ . ويعقب الآخرَ القيظ . وهو الذي يقال له الخريف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسيكون لي في هذه العبارة كلام في مقالة غير هذه . ومن الإضافة التي أحوج إليها وزن الشعر قول جرير :

يـاضبٌّ إنّ هـوى القيـون أضلّكم كضـلال شيعـة أعـور الـدجّـال

على أنّ ذلك يؤخذ سماعاً ولا يُقاس عليه . وتجوّز فيه بعض المتأخرين في شعرهم ونثرهم . كالذي جاء في شرح الشريشي على مقامات الحريري لبعضهم في غلام التحى (١ / ١٦٠) :

مثل السلافة عـاد خمر عصيرهـا بعـد اللـذاذة مثـل خـلّ الحـامض

أي مثل الخلّ الحامض . وكقول صلاح الدين الصفدي : « بحر الوافر » . واستدرك عليه العلامة محمد بهجة الأثري بترفق في تحقيقه خريدة القصر وجريدة العصر (القسم العراقي ٢ / ٢٣٢) قال « يريد البحر الوافر » . واستعملته بعض فضلاء الأدباء في عصرنا هذا بقوله « قصر الجعفري » ، وقال فيه العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله مستدركاً : « هكذا بالإضافة والصواب الوصف ، فالصواب القصر الجعفري . . . » (التراث العربي ٢ / ٣٥٢) .

ومختصر القول : قولهم (الرجلُ السَّوْءُ) صحيح ، وهو تعريف للمضاف وجعله موصوفاً . واعتراضُ الأخفش عليه مدفوع ، لأنّ الحجّة التي احتجّ بها في اعتراضه تتوجه عليه بالشواهد التي ذكرتها . وورد في كلامهم إضافة الموصوف الى صفته ، كقولهم في « المسجدُ الجامعُ » مسجدُ الجامعِ . على أن ذلك كله مقصور على السماع ، ولم يأت الاّ في مواضع قليلة .

لندن صبحي البصام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net